



Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة

Journal of University Studies for inclusive Research
Vol.8 , Issue 4 (2022) , 3255- 3286
USRIJ Pvt. Ltd.,

العلاقات الخارجية للدولة النصرية

إعداد البحث

الشريف. يحيى بن حمزة الوزنة السليمانى

دكتوراه في قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بكلية الشريعة بجامعة أم القرى

Dr. Yahya bn Hamza alwazna alsulimany

Department of History and Islamic Civilization College of Sharia Omm

Al-Qura University

Dr.yalwazna@hotmail.com

المقدمة:

سوف نتناول في هذا البحث تأسيس الدولة الناصرية عندما توفي آخر ملوك دولة المرابطين الذي انتصر على النصارى في واقعة الزلاقة و هو أول من تسمى بأمر المسلمين من ملوك المغرب⁽³⁾ تولى بعده ابنه ، وقام بالدفاع عن الأندلس ثم قامت عليه ثورة ، تعاقب الحكم عليها من امراء وسلاطين وخلفاء قامت في عهد دولة الموحدين والمرابطين وكيف حدثت الانتكاسات في بلاد الاندلس وكيف قامت مملكة (غرناطة)كدولة قوية قادرة على مقاومة النصارى وعلاقة بني ابن العلاء المعروفون في الاندلس باسم (شيوخ الغزاة) وكيف ان سياسة الوزير (ابن الخطيب) اثره إيجابا مع جميع الدول سواء الإسلامية أو النصرانية.

الملخص:

تأسيس الدولة الناصرية والظروف التي أدت الى ظهورها واين قامت وكيف تعاقب الحكم عليها من امراء وسلاطين وخلفاء والثورات التي قامت في عهد دولة الموحدين والمرابطين وكيف حدثت الانتكاسات واستعادت غرناطة قوتها ونفوذها والتحالفات والمعاهدات التي كانت في تلك الفترة مع جاراتها ,وعلاقة بني ابن العلاء المعروفون في الاندلس باسم (شيوخ الغزاة) وتسليط الضوء على اشهر وزرائها الذي استطاع التحالف مع الدول سواء الإسلامية أو النصرانية.

الكلمات الافتتاحية:

تأسيس الدولة، الثورات، النصرانية والإسلامية، امير المؤمنين

Abstract:

The establishment of the Nasserite state and the circumstances that led to its emergence and where it was established and how the succession of rule over it by the princes, sultans and caliphs and the revolutions that took place during the era of the state of the Almohads and the Almorabits and how setbacks occurred and Granata regained its power and influence and the alliances and treaties that were in that period with its neighbors, and the relationship of the sons of Ibn Al-Ala known in Andalusia In the name of (the sheikhs of the guozah) and shedding light on the most famous ministers who were able to ally with countries, whether Islamic or Christian.

مشكلة البحث:

تسليط الضوء على الحقبة التاريخية لدولة النصرية في بلاد الاندلس والمغرب العربي:

• كيف بدأت الدولة النصرية؟

• من هم الحكام والخلفاء اللذين حكموها؟

• حنكة ودهاء أشهر حكامها؟

• الثورات والانقلابات السياسية؟

اهداف البحث:

• ذكر الفترة الزمنية لظهور الدولة النصرية وتأسيسها.

• ذكر اهم أسماء الحكام والسلاطين المؤثرين في الحقبة الزمنية لدولة النصرية.

- توضيح اهم أسباب الثورات والتحالفات التي كانت في تلك الفترة.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث اعتماد منهج السرد القصصي التعليمي ليسهل على الطالب تتبع التاريخ بعيدا عن التعقيد للأحداث التاريخية المتتالية.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
قيام بنو نصر على حكم مملكة غرناطة	(3) و (4)
أوضاع الدول المعاصرة	(5)
العلاقة مع الدول المعاصرة	(6) و (7) و (8)
علاقة بني أبي العلاء بابن الأحمر	(9)
ظهور ابن الخطيب على الساحة السياسية	(9) - (10)
المعاهدات والرسائل	(10) - (11)

(11) أسباب توتر العلاقة مع فاس

(11) و (12) و (13) و (14) تجديد العلاقات مع فاس

(15) و (16) و (17) و (18) و (19) الحواشي

1- تأسيس الدولة الناصرية:

قيام بنو نصر على حكم مملكة غرناطة:

قبل أن نبدأ بدراسة العلاقات، علينا أن نعرف متى تأسست الدولة ومن هم مؤسسوها وما هي الظروف التي أدت إلى ظهورها وعلى أي أرض قامت...! نجد أن أسئلة كثيرة تطرح في نظر القارئ. لذلك يجب علينا أن نجيب عليها قبل أن ندع له فرصة للتفكير في ذلك. عندما توفي آخر ملوك دولة المرابطين ((اللمتونيون)) ، وهو يوسف بن تاشفين سنة⁽¹⁾ 500 هـ الذي إنتصر على النصارى في واقعة الزلاقة 479 هـ - 1086م⁽²⁾ ، و هو أول من تسمى بأمر المسلمين من ملوك المغرب⁽³⁾ تولى بعده ابنه الأمير علي بن يوسف ، وقام بالدفاع عن الأندلس ثم قامت عليه ثورة بقيادة محمد بن ترمذت الملقب بـ((المهدي))⁽⁴⁾ و هو مؤسس دولة الموحدين وقد سعى في هدم بنيان لمتونة ((المرابطين))⁽⁵⁾ و استولى على أكثر أملاك دولة المرابطين ما عدا حاضرتهم مراكش ثم جاء من بعده ((عبد المؤمن بن علي)) فأستولى على جميع مملكة المرابطين ((اللمتونين)) ، ثم استولى على أغلب الأندلس⁽⁶⁾ و منها غرناطة حيث انتصر على ((ابن مردنيش)) و النصارى الذين كانوا يساعده عام 557 هـ⁽⁷⁾ ثم أخرج الإفرنج من مهدية إفريقية سنة 547 هـ و ملك بلاد أفريقية و اتسع ملكه و لقب بأمر المسلمين⁽⁸⁾. ثم جاء ابنه ((يوسف بن عبد المؤمن)) و قد شرع في استرجاع البلاد التي استولى عليها الفرنج فاتسعت مملكته بالأندلس⁽⁹⁾ . تولى ابنه ((يعقوب المنصور)) وهو الذي رفع الجهاد وأظهر أبهة الموحدين، ونص

ب ميزان العدل وبسط الأحكام الشرعية، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وكثرت الفتوحات في أيامه وقد أحرز انتصارات كثيرة على الفرنج وهم في عقر دارهم وقام باسترجاع أربع مدن إسلامية منهم عام 586هـ مما أجبرهم على عقد هدنة معه مدتها خمسة سنين ثم عاد إلى مراكش⁽¹⁰⁾. ولما انتهت مدتها أرسل ((الأذقونش)) يتهدد ويتوعد ويطلب الحصون المتاخمة له في الأندلس، فجهز السلطان ((يعقوب)) جيشاً وتقابل الجيشان شمال قرطبة في يوم الخميس التاسع من شعبان سنة 591هـ - 1195م فكانت بينهم وقعة عظيمة، فهزمهم السلطان ((يعقوب المنصور)) شر هزيمة، وهرب ((الأذقونش)) وقد سميت بوقعة الأرك الشهيرة⁽¹¹⁾. ثم توفي السلطان ((يعقوب المنصور)) سنة 595هـ وتولى بعده ابنه ((محمد الناصر))⁽¹²⁾ ويقول مؤلفنا المقري أن عهده شئوم على المسلمين وعلى جزيرة الأندلس وخصوصاً بعد انهزامه أمام الإفرنج، وكان جيشه حوالي ستمائة ألف مقاتل لم ينج من الموت سوى ألف مقاتل، هذا ما قيل وكانت تسمى ((وقعة العقاب)) التي حدثت سنة 609هـ⁽¹³⁾. ولم تقم بعد للمسلمين قائمة تحمد وتوفى السلطان ((محمد الناصر)) سنة 620هـ⁽¹⁴⁾. ثم تولى بعده أمراء شاع النزاع بينهم مما أدى إلى تفكك الدولة الموحدية، وإنهيار سلطانها السياسي والعسكري في شبة الجزيرة، وقيام الثورات القومية والمحلية في معظم القواعد الأندلسية، في تلك الفترة الحازمة قامت مملكة غرناطة، حيث نهض محمد بن أحمد بن خميس النصري المعروف بابن الأحمر - وسبب لقب بابن الأحمر لشقوة فيه⁽¹⁵⁾ بحركة ثورية في شمال الأندلس⁽¹⁶⁾. وقد لقب ((بالشيخ))⁽¹⁷⁾ و لقب أيضاً ((بالغالب بالله))⁽¹⁸⁾ و ((بأمير المسلمين))⁽¹⁹⁾ ويرجع نسبهم إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج⁽²⁰⁾ قال بن خلدون أن أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة⁽²¹⁾، ولهم فيها سلف من أبناء الجند، و يعرفون ببني نصر⁽²²⁾ وقد كان لبني نصر في تلك المنطقة عصبية ووجاهة و هذا سبب من أسباب ظهور محمد بن الأحمر وكان زعيم متواضع يصف بالشجاعة والإقدام والعزم، و بويح أولاً في أرجونة⁽²³⁾ موطن أسرته

و أنصاره و ذلك في سنة 629هـ ثم دخل مدينة جيان في العام التالي و بويغ فيها و امتد سلطانه بسرعة إلى أنحاء الأندلس الوسطى⁽²⁴⁾ و أخذ يتطلع إلى استيلاء القواعد الجنوبية و وقع صراع بينه وبين قرينه و منافسه المتوكل ((محمد بن يوسف بن هود)) زعيم الشرق . و كان ابن هود قد ثار ضد الموحدين قبل ذلك بأعوام قلائل ، و إستطاع أن ينشئ مملكة مستقلة في مرسية و الجزيرة و شاطبة ، غرباً حتى جيان و قرطبة ، و جنوباً حتى المرية ، و فيما بين المدينة و الجزيرة الخضراء ، و في أواسط الأندلس فيما بين قرطبة و غرناطة⁽²⁵⁾. أما ابن الأحمر و قد دخلت في طاعته كل من مدينة بياسة و وادي آش و ما جاورها من البلاد⁽²⁶⁾ و لكي يحقق أطماعه في الطمأنينة التامة توجه الأمير ((ابن زكريا الحفص)) صاحب افريقية (تونس) يطلب العون منه ، و يستنزل بالدعوة إليه ، فأجابه الأخير إلى مطلبه ، و أعانه على أمره⁽²⁷⁾ حتى أطاعته قدمونة و قرطبة و إشبيلية و ذلك لفترة محدودة أواسط عام 629هـ (1231م) ، ثم تخلت عنه إشبيلية و قرطبة ، و دخلتا في طاعة ابن هود⁽²⁸⁾ . ثم نشبت ثورة في إشبيلية تمكن من الإستيلاء عليها ((أبو مروان الباجي)) و طرد منها عامل ابن هود فإنتهز ((ابن الأحمر)) هذه الفرصة و تحالف مع هذا الثائر ضد ابن هود، و عقد العزم على مقاتلته، وكان قد هزمه في بعض المواقع. بيد أن ابن الأحمر نقض عهده مع حليفه ، و دبر له من قتله⁽²⁹⁾. و بعد فترة قصيرة تمكن من فرض سلطانه على كل من جيان و مالقة و شريش وغيرها من البلاد و الحصون القريبة عام 630هـ و استطاع أن يكون لنفسه جيشاً عظيماً قوامه مشاة و فرسان ، مزودين بالعتاد ، مدربين على فنون القتال⁽³⁰⁾. وفي تلك الأثناء لعب ابن الأحمر دوراً له طرافته حيث مُهد له الطريق لملك غرناطة ، و ذلك أنه أحس بأن السلطان غريمه ((ابن هود)) قد امتد نحو الغرب والجنوب و أنه يدعو للخليفة العباسي في الشرق و الذي أقره بدوره على ما بيده فرأى ابن الأحمر أن ينحاز إليه هو الآخر في الظاهر ، لكن هذه الخطة لم تثمر شيئاً⁽³¹⁾ لوفاة ابن هود سنة 635هـ - 1238م و في هذه

الأثناء كان والي غرناطة من قبل ابن هود هو ((عتبة بن يحيى المغيلي)) وكانت هناك خصومة شديدة بين هذا وبين ابن الأحمر ، كما أن حاكم غرناطة كان ظالماً وقاسياً⁽³²⁾ ، حتى أن أهل غرناطة كثير ما تلمسوا الخروج عن طاعته ، و فعلاً ثاروا عليه سنة 635هـ - 1238م نفر من أعيان المدينة تحت زعامة أحدهم ويدعى ((أبو خالد))⁽³³⁾ حيث هاجموا في القصر وقتلوه و في الحين أرسلوا في طلب ابن الأحمر ، و يبدو أن صاحبنا أي ((ابن الأحمر)) كان يعمل من جانبه في الخارج لذلك ، كاتخاذ الأعوان والأنصار الذين ألبوا الرأي العام الغرناطي على ((عتبة بن يحيى المغيلي)) حاكم المدينة حتى جعلوا حداً لنهايته⁽³⁴⁾ . ثم نلاحظ أن ابن الأحمر بعد وفاة غريمه ومنافسه ابن هود قام بالاستيلاء و السيطرة على ممتلكاته و استطاع ابن الأحمر أن يبسط نفوذه على شريش و مالقة⁽³⁵⁾ وكان أهل غرناطة تحت سيطرة ((ابن هود)) و قد ثاروا عقب وفاته بواليهم من قبله ، و أعلنوا الطاعة لابن الأحمر⁽³⁶⁾ . و دخلها ابن الأحمر في رمضان سنة 635هـ ثم في سنة 642هـ استطاع أن يستولي على ألمرية⁽³⁷⁾ . وبذلك استطاع أن ينشئ مملكة الأندلس الجديدة و هي ((مملكة غرناطة)) الدولة القوية القادرة على مقاومة النصارى بدفاع هائل⁽³⁹⁾ ، و التي كانت في تلك الآونة وريثة المملكة الأندلسية الكبرى في علومها و فنونها و في رفع علم الإسلام و حمل مشعل الحضارة الأندلسية مائتي عام أخرى⁽⁴⁰⁾ . هذه كانت لمحة تاريخية بسيطة عن قيام الدولة النصرية ، و لنبدأ الآن في ظهور الدول التي كانت لها علاقة الدولة هذه بالدول الأخرى .

2-الصلح والانقسامات التي حدثت في عهد الدولة الناصرية:

أوضاع الدول المعاصرة: -

لقد تظاهر الأمير محمد بن يوسف ابن الأحمر بطاعة الملوك سواء أعدائه أو أصدقائه، وحصل بسبب ذلك على معونات من قبلهم⁽⁴¹⁾ . ففي سنة 643هـ عقد صلح مع النصارى⁽⁴³⁾ ليأمن مكرهم

وبذلك استطاع أن يكون مملكته التي كانت تماثل الدولة الحفصية ودولة بني مدين ودولة تلمسان إلى جانب دول أعدائه مثل مملكة قشتالة ومملكة أرجوان. واستطاع أن يعلم رعاياه ضرورة الاتحاد فاستمالهم إلى سياسته بحسن إدارته (43). قامت الدول الثلاثة على أنقاض الدولة الموحدية الكبرى كانت مملكة تونس (أفريقية) من أقطار الخلافة الموحدية قامت في المغرب الأوسط وقد انفصلت عنها سنة 627هـ على يد الأمير ((أبي زكريا يحي)) ابن والي أفريقية السابق الشيخ ((ابن محمد عبد الواحد ابن أبي حفص يحي الهنتاتي)) و من ثم فقد عرفت ((بالدولة الحفصية)) وقد كانت منذ قيامها تتجه إليها أنظار الأندلس المحتضرة في طلب النجاد والغوث (44). و في أوائل القرن الثامن أدخلت في دور انحلال و انقسمت إلى دويلات عدة منها إمارة في تونس و أخرى في قسطنطينية و ثالثة في بجاية ، و كان أمراء بني حفص يسيطرون على هذه الدويلات الجديدة و تنشب الحروب فيما بينهم بين آن و آخر و يحاول كل منهم أن ينتزع ما بيد أخيه من القواعد و الأراضي وقد كان هذا في منتصف القرن الثامن الهجري أعنى في عصر ابن الخطيب (45). و قامت إلى جانب الحفصية دولة أخرى هي إمارة تلمسان التي استطاع بنو عبد الواد - و هم بطن من بطون قبيلة زتانة الشهيرة - إقامتها على يد زعيمهم القوي يغمراسن بن زيان و ذلك في سنة 633 هـ وقد توسعت حتى شملت معظم المغرب الأوسط و بلغت حدودها فيما بين وادي شليف ومليانة شرقاً إلى وجدة غرباً وبلغت أوج ازدهارها في أواسط القرن الثامن الهجري و هو العصر الذي عاش فيه ابن الخطيب (46). أما دولة بنى مدين فهي أكثر الدول علاقة مع الدولة النصرية ، فدولة بنى مدين هي الأخرى قامت على أنقاض الدولة الموحدية ، فقد كان لها نصيب أكبر من الدول السابقة الذكر . وقد أسسها ((أبو محمد عبد الحق بن خالد بن محيو)) سنة 614هـ خلفه في الإدارة ولده ((أبو سعيد)) ثم جاء بعد ذلك عدة أمراء إلى أن جاء أبو يوسف يعقوب ابن عبد الحق وجعل فاس حاضرة ملكه ثم وقعت بينه وبين الموحدية موقعة حاسمة سنة 667هـ انتصر

فيها ودخل مراكش سنة 668هـ ولقب بأمرير المسلمين⁽⁴⁷⁾. وقد لعب ((يعقوب)) دوراً كبيراً لمناصرة مسلمي الأندلس و يعتبر عهده أنصر عهود بني مرين⁽⁴⁸⁾. و هكذا قامت هذه الدولة الفتية و بسطت نفوذها على المغرب الأقصى كله فبلغت حدودها من وجدة ووادي ملوية شرقاً حتى المحيط الأطلنطي غرباً ومن شاطئ البحر المتوسط شمالاً حتى بلاد السوس جنوباً، وكانت أنظار مملكة غرناطة، تتجه منذ البداية إلى تلك الدولة المغربية القوية، و لم ينسى بنو مدين رسالة المغرب التاريخية في وجوب نصرته الأندلس و حماية الإسلام المنقطع في شبه الجزيرة و هي رسالة حملها أسلافهم المرابطون و الموحدون من قبل.

العلاقة مع الدول المعاصرة: -

عندما استقرت دولة بني مرين وبسطت نفوذها القوي على المغرب الأقصى كله كانت تربطها مع الدولة النصرية علاقة محبة ومساعدة عند الأزمات وبالفعل عندما استنجد السلطان محمد بن الأحمر ((الفقيه)) بسلطان دولة مدين ((أبو يوسف)) ولم يتردد الآخر لهذا النداء، إلا أنه طلب⁽⁴⁹⁾ من ابن الأحمر أن يتنازل له عن بعض الثغور والقواعد الساحلية لتتنزل بها جنوده فوافق ابن الأحمر وعبر السلطان أبو يوسف بقواته إلى الأندلس في صفر سنة 674هـ. وخرج القشتاليون للقائه وكان قائدهم ((الدون نونيو دي لاد)) الذي تسميه الرواية الإسلامية ((دنونة أو دننة)). كانت المعركة قوية حيث انتصر فيها المسلمون وهزم النصارى وقتل قائدهم. وقد توغل السلطان أبو يوسف بقواته في أراضي النصارى و عندما رأى قائدهم عدم قدرته لصد هجمات قوة المسلمين فأضطر ملك قشتالة إلى طلب الصلح واشترط عليه السلطان أبو يوسف مسالمة المسلمين كافة وأن يمتنع النصارى عن كل اعتداء على الأندلس، فقبل ملك قشتالة سائر الشروط و عقد الصلح بين الطرفين⁽⁵⁰⁾. وقد حدث شيئاً من الفتن في العلاقة بين ابن الأحمر والسلطان أبو يوسف والسبب أن ابن الأحمر تحالف مع الأعداء على تكوين جبهة مضادة للمسلمين و

تحارب المرينين و عمل بنو الأحمر جميع ما أمكنهم من وسائل الدس والكيد على إثارة أمراء الأندلس ضد المرينين كما قاموا بإثارة الفتن والحروب في داخل المغرب. نجح ابن الأحمر في ذلك مما أدى إلى رجوع المرينين إلى معالجة مشاكلهم في المغرب تاركين الأندلس في هذه اللحظة فأتاحت الفرصة لإمام النصارى بالانقضاض على الجزيرة الخضراء ، مما حمل ابن الأحمر نفسه مدير المكيدة إلى طلب العون من المرينين ، و قام بإصلاح ما أفسده بتقديم معونات بحرية و بذلك استطاع المرينين تأديب المهاجمين ((النصارى)) في سنة 680هـ⁽⁵¹⁾ إلا أن ابن الأحمر لم يرى في هذا النصر ما يردعه و يجعله يحفظ لهم الجميل بل زاد في طغيانه ليخطط لمكيدة أخرى لهم مما جعل السلطان يعقوب يتحاشى ذلك و يعقد هدنة و صلح معه يتم على أساسها تنازله عن مالقة ، و كان ابن الأحمر يرى أن مجرد وجود جيش مريني في الأندلس و لو تحت شعار الجهاد لن يكون معناه إلا فرض سيطرة المرينين عليه والقضاء على سلطانه ولهذا رفض⁽⁵²⁾ . قام ابن الأحمر بمساعدة ((شانجة)) على أبيه الملك ((سانجة)) ملك النصارى وضد المرينين فقام أبيه بطلب المساعدة من المرينين و استجابوا لهذا الطلب فجهزت جيوشهم سنة 681هـ⁽⁵³⁾ و توجهوا إلى الأندلس و أحرزوا انتصارات ثم اضطروا إلى توجيه هجمات قاسية وقاتلة إلى ابن الأحمر فاستولوا على الحصون الغربية لمالقة فاضطر ابن الأحمر إلى طلب العفو من المرينين وعقد صلح معهم⁽⁵⁴⁾ . وعندما قام السلطان يوسف بمنازلة ((سانجة)) ملك النصارى - حدث أن ابن الأحمر أمير غرناطة انضم إلى صفوف النصارى لمنع المرينين من مواصلة زحفهم في الأندلس و انتصر النصارى في هذه المعركة واستولوا على جزيرة ((طريف)) و فرضوا صلحاً مزيفاً على أهلها المسلمين سنة 691هـ⁽⁵⁵⁾ و لم يستفيد ابن الأحمر من تحالفه ذلك فقد اتجه من جديد إلى المغرب يستنجد بالمرينين وقد عبر ابن الأحمر البحر و توجه إلى السلطان المريني فتقابلا في طنجة سنة 692هـ وقدم له هدية ((مصحف كبير)) وقد كان السلطان يوسف المريني حليماً فعقد

الصلح وتنازل لابن الأحمر عن الجزيرة و رندة والغربية وعشرين حصناً من حصون الأندلس التي كانت في يد المرينين ⁽⁵⁶⁾ . وفي سنة 695هـ (1299م) انتصر ابن الأحمر على شانجة بن أذقوش وفتح مدينة ((قيجاظة)) ⁽⁵⁷⁾ ثم في عام 699هـ (1303م) حاصر مدينة ((القبذاق)) فإستسلم أهلها وهدم سورها فكان فتحها من أشد الغرائب لقوة تحصينها ⁽⁵⁸⁾ . وقبل وفاة ابن الأحمر (الفقيه) تم عقد معاهدة، مع ملك أرجوان خايمي الثاني ضد قشتاله وذلك تجديداً لمعاهده الصلح السابقة بينهما في سنة 695 / 1299 وكان نص هذه المعاهدة على عقد صلح ثابت وصفحة صادقة وقد وقعت هذه المعاهدة في آخر ربيع الأول سنة 701هـ / 1301م ⁽⁵⁹⁾ ثم جاء ابن الأحمر ((المخلوع)) واستولى على مدينة المنظر في أول عهده ثم العجلة حيث كانت تحت عقائل الروم ((النصارى)) وكان هذا الفتح عظيماً ⁽⁶⁰⁾ . وقد حدثت مراسلة ومهاداة بينه وبين أمير تونس ((أبي محمد المرجاني)) وفي ذلك يقول شاعره قصيدة مطولة نذكر بيتان منها:

ولتفخر أندلس أنها بعدله المشهور دار القرار

بسعدة دانت لها تونس فاعتمدتها بالهدايا الكبار ⁽⁶¹⁾

وفي عهد اضطربت العلاقة بين مملكة غرناطة وبني مرين ونشبت بي الطرفين معركة نتيجة لاستيلاء قوات ابن الأحمر على سبتة وهزم فيها قائد ابن الأحمر (أبو العلاء) وأسفرت إلى خلع السلطان أبو عبد الله المخلوع، وتربع ((نصر)) أخوه ⁽⁶²⁾ (أبو الجيوش) سنة 708هـ (1308م). انتهز القشتاليون فرصة اضطراب الأحوال في غرناطة فغزوا ارض المسلمين. فاتفق كل من ((فرناندو الرابع)) ملك قشتالة وملك أرجوان ((خايم)) على أن يحاصر الأول جبل طارق والثاني يحاصر ثغر المرية وكان ذلك في سنة 709هـ (1309م) ⁽⁶³⁾ . نجح الأول في الحصار وسقط في يده أما الثاني فشل في الاستيلاء ورجع إلى بلاده، وأدرك ابن الأحمر على إثر هذه النكبة فداحة الخطأ الذي ارتكبه بمجافاة بني مرين فبعث برسالة إلى سلطان بني مرين يبدي أسفه ويسأله

الصلح والصفح فاستجاب له وعادت علاقة التفاهم والتحالف بين غرناطة وفاس إلى سابق عهدها (64). ثم وقع انقلاب بفر ناطة حيث تبرع على العرش السلطان أبو الوليد إسماعيل سنة 713 هـ (1314م) (65). وقد امتاز عهده بإحياء الجهاد (66)، فهزم الطاغية (النصارى) في وادي فرتونة سنة 716 هـ (1317م) وغزا أراضي قشتالة وإستولى سنة 724 هـ (1325م) على مدينة بياسة الحصينة (67). ثم نشب خلاف بينه وبين شيوخ الغزاة المغاربة (68) وعلى رأسهم عثمان بن أبي العلاء ثم عقدت بينهما هدنة على أن يستقروا بوادي آش ويكونوا تحت طاعته (69) وفي سنة 725 هـ (1326م) دخل مدينة مرتش (70). وتوفي في هذه السنة (أبو الوليد) (71). ثم تولى السلطان (أبو عبد الله) محمد بن إسماعيل الحكم وقد كان في قلق من جانب تربص النصارى بمملكته ورأى أن يتجه إلى بني مدين مرة أخرى وكانت العلاقة يومئذ قد عادت إلى صفائها بين غرناطة وفاس فقام ابن الأحمر محمد بن إسماعيل (أبا عبد الله) برد حصون الجزيرة إلى بني مدين سنة 729 هـ (1330م) وليسهل لهم الاستعداد لمواجهة النصارى. و قد كان استيلاء النصارى على جبل طارق يهدد بالخطر على غرناطة (73)، لهذا قام ابن الأحمر في سنة 732 هـ (1332م) برحلة قاصداً فاس، مستنجداً بالسلطان أبي الحسن المريني (74) وكان قد خلف أباه السلطان سعيد على عرش فاس فاستقبله بالترحاب، و أوضح له ما تعانیه غرناطة من قلق و اضطراب بسبب سقوط جبل طارق في أيدي النصارى مما أدى إلى قطع الاتصال بين المملكتين الشقيقتين، و طلب منه إرجاع العلاقات إلى ما كانت عليه و ذلك بمد يد العون سياسياً و عسكرياً، و قد استجاب السلطان أبي الحسن المريني ووعده بالوقوف إلى جانب الدولة النصرية ومؤازرتها. وكان السلطان أبو الحسن المريني من أعظم سلاطين بني مدين حيث كان محباً للجهاد، ويرى خطر أسبانيا النصرانية يلوح داهماً، ليس على الأندلس فقط، بل وعلى المغرب أيضاً، ذلك لأن الأندلس كانت تبدو في ذلك الحين جناح المغرب، وخط دفاعه الأول من الشمال ولا بد من تأمين هذا الخط

والسهر على سلامته، وذلك بدعم قوة الأندلس والوقوف إلى جانبها سياسياً وعسكرياً لرد خطر النصارى عليها (75). فأرسل جيشاً بقيادة ابنه ((أبي مالك)) إلى جبل طارق يساعد ابن الأحمر، فزحف على ثغرة الجزيرة الخضراء واستولى عليها وحاصر المسلمون جبل طارق من البر والبحر، وهرع ملك قشتالة ((ألفونسو الحادي عشر)) في قوة من الفرسان لإنقاذ الحامية المحصورة، فبادر ابن الأحمر إلى مهاجمة النصارى وهزمهم بمساعدة الجيش المريني، وشدد الحصار عليهم وقطع كل صلاتهم بالبر والبحر فاضطروا إلى الاستسلام (76). وبذلك استعاد المسلمون الثغر المنيع ((جبل طارق)) في شهر ذي الحجة سنة 733 هـ (1334م) (77). وانتهى الأمر إلى عقد هدنة بين غرناطة وقشتالة (78).

3- أشهر الجماعات والاسر والمعاهدات في تاريخ الناصرية:

علاقة بني أبي العلاء بابن الأحمر:

وهم ينتمون إلى جماعة مغربية قام ملوك بني نصر بتسليمهم قيادة جيوش غرناطة ، و قد عرفوا في الأندلس باسم ((شيوخ الغزاة)) (79) وقد توارد هذا الاسم كثيراً في المخطوطة (اللوحة البدوية) ، ومن أبرز هؤلاء أسرة تنتمي إلى بني مرين الأسرة الحاكمة في المغرب تعرف هذه الأسرة ((ببني العلاء)) وعلى رأسها شيخها ((عثمان بن أبي العلاء)) وكان هدف بني نصر في إبقاء هذه الأسرة في غرناطة ، والتقرب إلى بلاط فاس وتوثيق العلاقات السياسية و العسكرية بين غرناطة وقاس (80) وقد كان شيخ هذه الأسرة ((عثمان بن أبي العلاء)) قد طمع في الوصول إلى السلطة بالمغرب إلا أنه فشل فاضطر إلى الفرار مع أسرته إلى الأندلس ، و قد كان ذلك في حكم السلطان (نصر أبو الجيوش) عام 708 هـ (1308م) (81). وقد أثبت ((عثمان أبي العلاء)) جدارته كقائد عسكري في قيادة جيوش بني الأحمر فكسب ودهم وتمسكوا به ووقفوا معه ضد تهديدات سلطان المغرب المريني وقد طلب من ابن الأحمر أكثر من مرة تسليمه له إلا أن الآخر

كان يرفض⁽⁸²⁾. ثم طمع ((عثمان بن أبي العلاء)) بالاستقلال في السلطة. الأمر الذي جعله يباشر في تنفيذ عملياته القذرة ضد الذين مدوا له يد المساعدة وأوصلوه إلى مكانة العز ، فقد انتهت هذه العلاقة عندما قام جماعة من المتآمرين بتحريض بني أبي العلاء بإغتيال السلطان محمد بن إسماعيل (أبو عبد الله) أثناء عودته على رأس جيشه إلى غرناطة في عام 733هـ فخلفه على العرش أخوه يوسف بن إسماعيل (أبو الحجاج) فتبع بني أبي العلاء - قتلة أخيه - وقام بتجريدهم من وظائفهم وتمزيق عصبتهم و القبض على شيوخهم - كان في نفس الوقت تحقيقاً لرغبة السلطان أبي الحسن المريني - ثم نفاهم إلى تونس و انتهت بذلك سلطتهم في الأندلس التي استمرت زهاء نصف قرن (83) .

ظهور ابن الخطيب على الساحة السياسية:

لقد قام ابن الأحمر ((أبي الحجاج)) بعد أن أنهى أمر قتلة أخيه بمواصلة العلاقات مع المغرب حيث كتب على السلطان ((أبي الحسن المريني)) يستنجده على أعدائه ((النصارى)) فقام الآخر بإرسال جيش سنة 740هـ (1340م) تحت قيادة ابنه ((أبي مالك)) فحقق بعض الانتصارات ثم استشهد⁽⁸⁴⁾. فتوجه السلطان ((أبي الحسن المريني)) إلى الأندلس وباشر بنفسه قيادة الجيش ثم لحق به ((أبي الحجاج)) بجيشه وأتاب عنه وزيره ابن الخطيب، وقابلا النصارى في موقعة طريف الشهيرة سنة 741هـ (1342م)⁽⁸⁵⁾ والتي انهزم فيها المسلمون (المغرب والأندلس) بعد أن اشتدت هجمات النصارى على مملكة غرناطة واستولوا على قلعة بني سعيد أو قلعة يحصب سنة 742هـ -1342م⁽⁸⁶⁾. الحصن الشمالي لغرناطة، قام السلطان ((أبي الحسن المريني)) بتدعيم وحشد جيوشه للانتقام من النصارى ثم سار بجيشه إلى سبتة واشتبك مع النصارى وانهزم فيها المسلمون سنة 743هـ -1343م⁽⁸⁷⁾. وحاصر النصارى ثغر الجزيرة الخضراء ثم قام ابن الأحمر ((أبو الحجاج)) بالدفاع عن هذا الثغر إلا أنه فشل عن حمايته، فاضطر المسلمون إلى التسليم.

وبهذا يكون النصارى قد استولوا على ثغرين هما: طريف والجزيرة الخضراء، ولم يبق للمسلمين سوى ثغر جبل طارق⁽⁸⁸⁾. و في هذه الأثناء قام السلطان ((أبي الحسن المريني)) بإرسال كتاب إلى سلطان مصر ((الملك الصالح بن الملك الناصر بن خلاون)) ينوه به بما كان بينه وبين والده من رسائل الود، و يخبره ما وقع من استغاثة أهل الأندلس به فأعانهم بالمال و الرجال فطالت الحرب فاضطر إلى عقد صلح مع النصارى وتسليمهم الجزيرة الخضراء، وقد كتب هذا الكتاب في صفر سنة 745هـ -1344م. وقد رد ملك مصر على كتاب السلطان ((أبي الحسن المريني)) في رمضان سنة 745هـ -1344م بكتاب رقيق يبدي فيه أسفه على سقوط الجزيرة، ثم يخبره أن الله سبحانه وتعالى سوف يمن عليه بالظفر مرة أخرى⁽⁸⁹⁾. بعد ذلك اضطر السلطان ((أبي الحسن المريني)) أن يتجه إلى المغرب للقضاء على الثورات التي قامت هناك ثم نجده بعد ذلك يغزو المغرب الأوسط وأفريقية⁽⁹⁰⁾. وقد كانت تبعث له رسائل تهاني بالفتوحات والانتصارات من ابن الأحمر ((أبو الحجاج)). ثم توجه بعد ذلك إلى افتتاح إفريقية (تونس) فدخلها سنة 748هـ (1348م)⁽⁹¹⁾. ثم انقلبت عليه الحوادث فانهزم أمام جموع من الأعراب في القيروان⁽⁹²⁾. وقد وقف إلى جواره في محنته ابن الأحمر ((أبو الحجاج)) حيث كانت علاقته وطيدة، وأبقى ابن الأحمر ((أبو الحجاج)) بنو العلاء في رئاسة الجيش بالأندلس لأنهم أبناء عم السلطان ((أبي الحسن المريني))⁽⁹³⁾. نلاحظ في عهد السلطان ((أبي الحجاج)) أخذت علاقته بالدول الأخرى وعلى رأسها المغرب ((المرينين)) نأخذ طابعاً آخر أكثر إيجابية عن السلاطين السابقين له، وإذا دققنا في الأمر نجد أن مؤرخنا ((ابن الخطيب)) تولى الوزارة في تلك الفترة، بعد وفاة الوزير ((أبو الحسن ابن الجياب)) سنة 749هـ (1349م) بوباء الطاعون⁽⁹⁴⁾. وكان له دوراً رئيسياً في العلاقات الخارجية للدولة النصرية. ثم أشيع خبر مصرعه إلى سماع ابنه الأمير ((أبي عنان)) فأعلن البيعة لنفسه، فبايعته أمصار المغرب سنة 749هـ (1349م). واعتصم والده السلطان ((أبو

الحسن المريني) بتونس، ثم سُم ومن معه في البقاء بتونس وأراد السلطان (أبي الحسن المريني) مواجهة ابنه (أبي العنان) فتوجه إلى المغرب مع حاشيته (97). وفي هذه الأثناء كتب السلطان ابن الأحمر (أبي الحجاج) رسالة إلى السلطان (أبي الحسن المريني) من إنشاء وزيره ابن الخطيب، يسأله عن أحواله، ويعزيه عما أصابه ويتأسف له (99). وقد نشبت عدة معارك بين السلطان (أبي الحسن المريني) وبين ابنه (أبي عنان) كان آخرها سنة 752 هـ (1353م) والتي انهزم فيها (أبي الحسن المريني) بمراكش، وبعدها مرض وفي هذه اللحظة أيقظ ضمير ابنه فبعث إليه السلطان (أبي عنان) بالاعتذار لما صدر منه، فقبل الآخر اعتذاره، وتنازل له عن العرش، وتوفي السلطان (أبي الحسن المريني) سنة 752 هـ (100). فأرسل ابن الأحمر (أبي الحجاج) وفداً للغزاة إلى المغرب يرأسه وزيره ابن الخطيب فوصل فاس وقدم تهنئته وعزاء مليكه إلى السلطان (أبي عنان) في وفاة والده السلطان (أبي الحسن المريني) وتوليه العرش من بعده (101). وكانت هذه أول زيارة رسمية لابن الخطيب للمغرب (102) وهكذا نرى أن ابن الحسن المريني كان له دوراً بارزاً وعظيماً في الجهاد ضد النصارى ونصرة الأندلس (103).

المعاهدات والرسائل:

لقد كانت علاقة الدولة النصرية منذ نشأتها بدول النصارى لم تتسم بالصفاء بل كان هناك صراع مرير كما مر علينا في عهد سلاطين بني الأحمر السابقين كما نلمس ذلك في عهد السلطان (أبي الحجاج) إلا أن هناك كانت مراسلات سلطانية بينه وبين ملوك النصارى (104). بالإضافة إلى معاهدات - حيث قام بعقد معاهدة سنة 735 هـ 1335م مع مملكة أرجوان (105). وذلك لتأمين مملكة غرناطة من غزواتهم عليها، ثم جددت في عام 736 هـ - 1336م (106). وفي أبريل عام 744 هـ (1344م) (107) عقدت معاهدة سلم بين غرناطة وقشتالة بالجزيرة الخضراء، وقد بعث السلطان (أبو الحجاج) رسالة إلى سلطان المغرب (أبي الحسن المريني) يعلمه فيها بأمر هذه

المعاهدة. وفي عام 745 هـ (1344م)، جددت معاهدة مملكة غرناطة ومملكة أرجوان، وقد طلب ابن الأحمر (أبو الحجاج) من السلطان (أبو الحسن المريني) أن يوافق على هذه المعاهدة، وتنص المعاهدة على الصلح في البر والبحر⁽¹⁰⁸⁾. وكانت العلاقات الدبلوماسية مع أرجوان تتسم بتجديد صلح أو معاهدة سلم، وتبادل الهدايا في المناسبات حتى بلغت في عهد السلطان يوسف أربعون رسالة سياسية⁽¹⁰⁹⁾. عندما أحس ابن الأحمر (أبو الحجاج) بغزو النصارى أرضه أرسل رسالة كتبها ابن الخطيب إلى سلطان المغرب تنص على طلب المساعدة منه ويثني فيها عن حبه وتقديره له⁽¹¹⁰⁾. وبالفعل بعد أن سيطر النصارى على الجزيرة الخضراء بدأوا بمحاولة استرداد جبل طارق حيث غزوا في عام 750 هـ (1351م) السهول المحيطة بجبل طارق وكان هذا الثغر تحت سلطة المسلمين، فقام النصارى بحصاره زهاء عام كامل، ثم فشا الوباء في جيشهم وهلك ملك قشتالة مع من هلك من الجنود واضطر النصارى إلى رفع الحصار سنة 751 هـ (1352م)⁽¹¹¹⁾.

4-فترة العلاقات مع بلاد فاس وتذبذبها:

أسباب توتر العلاقة مع فاس:

استمرت علاقة الود والمحبة بين غرناطة وفاس ولم يكدر صفو هذه العلاقة سوى مسألة (أبي الفضل) أخو السلطان أبي عنان، حيث كان مقيم في الأندلس تحت حماية ابن الأحمر (أبو الحجاج) وعندما طلبه (أبي عنان) تسليم (أبي الفضل) رفض ابن الأحمر فغضب (أبي عنان) فاضطر (أبي الفضل) إلى الخروج من غرناطة واللجوء إلى ملك قشتالة (دون بطره القاس) حيث طلب منه مناصرته على أخيه (أبي عنان)⁽¹¹²⁾. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل هرب (أبي الفضل) من غرناطة؟ أم تم ذلك بتدبير من (أبي الحجاج)؟ أغلب المؤرخين المغاربة يؤيدون السؤال الأول⁽¹¹³⁾. والذي يثبت ذلك رسالة أبي الحجاج الواردة بالكناسة إلى (أبي عنان) يعتذر إليه عن هروب أخيه، حيث انتهز فرصة الاحتفال بمولد الرسول (ص)، ولكن اعتقادي أنا بأن سبب هروب

(أبي الفضل) كان يعلم به ابن الأحمر (أبي الحجاج) والذي يرجح هذا أنه كان يمانع ذلك إلى أنه كان مانع تسليمه إلى (أبي عنان) وممكن القول بأنه خطط (أبي الحجاج) له، والله أعلم. لجأ (أبي الفضل) إلى ملك قشتالة فقام الآخر بمساعدته ضد أخيه (أبي عنان) سلطان المغرب. فجهز له أسطولاً بحرياً ثم قام الآخر بإعداد أسطولاً، ونشبت بين الأخوين معركة بحرية في عام 754هـ (1353م)⁽¹¹⁵⁾. انتهت بهزيمة (أبي الفضل) فهرب إلى جبال السكيوي حيث لجأ بصاحبها (عبد الله السكيوي) فأرسل (أبي عنان) جيشاً لمحاصرة الجبل فاستسلم عبد الله السكيوي بالرغم من رفض (أبي الفضل) التسليم فهرب مرة أخرى ولجأ إلى قبيلة ((صناجة)) فأجابه ابن الحميدي أحد مشايخها ثم تظهر لنا ظاهرة غريبة وهي خروج (عبد الله بن أبي مسلم) صاحب درعه حيث قام بمناهضة ضد (أبي الفضل) وأشار إلى ابن الحميدي في القبض عليه وتسليمه إلى السلطان (أبي عنان) ليسلم من السلطان عليه فقبل بما أشار له فأرسل (أبي الفضل) إلى (أبي عنان) فزجه في السجن ثم قتله خنقاً⁽¹¹⁶⁾. وفي نفس هذا العام 754هـ (1353م) أرسل ابن الأحمر (أبو الحجاج) كتاباً بقلم وزيره ابن الخطيب إلى السلطان أبي عنان يشفع فيه لصالح (ابن مرزوق التلمساني) فأطلق (أبي عنان) سراحه ورحل إلى تونس⁽¹¹⁷⁾. كما أرسل رسالة أخرى في عام 754هـ -1353م إلى (أبي عنان) بشأن التنويه بإستيلائه على مدينة ((بجاية)) إلا أنها في النهاية لم تخضع له⁽¹¹⁸⁾.

تجديد العلاقات مع فاس:

قُتل ابن الأحمر (أبو الحجاج) في سنة 755هـ -1354م⁽¹¹⁹⁾ ثم تولى بعده ابنه أبو عبد الله محمد (الغني بالله) في نفس هذه السنة وبدأ في تجديد العلاقات مع المغرب، حيث أرسل وزيره ابن الخطيب إلى سلطان فاس (أبو عنان)⁽¹²⁰⁾ وكان الآخر قد انتزع الملك من والده (أبي الحسن المريني) على أثر الثورة التي قام بها كما أسلفنا. وعندما وصل الوفد و على رأسه ابن

الخطيب إلى السلطان (أبي عنان) طلب منه العون والوقوف أمام نشاطات النصارى تجاه الأندلس ثم أكد ابن الخطيب عن لسان مليكه (الغني بالله) عهود المودة والصداقة التي تربط بين ملوك بني الأحمر وبني مرين (121) ، وقد حمل ابن الخطيب معه رسالة إلى السلطان (أبي عنان) كتبت بقلمه ، عن لسان سلطانه (الغني بالله) ومضمون هذه الرسالة يقول فيها أنه خاطب ملك قشتالة ليرى استعداده لعقد معاهدة سلم ، ثم يخبره عن قصة مصرع والده (أبي الحجاج) ثم يختتم رسالته بأنه يرجو في تجديد أوامر المحبة التي كانت تربط الدولتين سابقاً (122) . وقد استقبلهم السلطان (أبي عنان) بحفاوة بالغة (123) فأنشده ابن الخطيب شعراً يمدحه فيه نذكر أبيات من هذا الشعر (124):

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
والناس طراً بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا

فتأثر السلطان (أبي عنان) لأقوال ابن الخطيب، ووعده بإجابة سائر مطالبه (125). ويخبرنا المقري أن السلطان (أبي عنان) قد زود ابن الخطيب بالمال تلبية لدعوة السلطان (الغني بالله) إلى العون والمساعدة (125). وأثناء مغادرة ابن الخطيب المغرب أنشد قصيدة طويلة يشيد بهمة وعدالة وتقوى السلطان (أبي عنان) ويشير فيها إلى الأندلس بقوله (127):

نادتك أندلس ومجدك ضامن أن لا يخيب لديك ذو مطلوب
غضب العدو بلادها وحسامك الماضي السنا مسترجع المغصوب
والنصر يضمك كل مبسم غرة واليؤمن معقود بكل سبب

وقد كان هناك شخص يدعى أبو عبد الله بن مرزوق صديق السلطان أبي عنان، وقد كانت بينه وبين ابن الخطيب صداقة حميمة، وكان له دور كبير في نجاح مهمة ابن الخطيب عند سلطان

المغرب⁽¹²⁸⁾. وقد حدثنا ابن الخطيب عن وصول رسالة ترحيب عند قدومه إلى فاس من ((ابن مرزوق)) وقد بدأها:

يا قادماً وافى بكل نجاح أبشر بما تلقاه من أفراح
هذي ذوي ملك الملوك فلذ بها تنل المنى بكل سماح

وفي ختام رسالته قال ((فها أنت تجتني من هذا المقام العلي بتشيعك وجوه المسرة صباحاً، وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحاً)). وقد أجابه ابن الخطيب برسالة مماثلة بدأها:

رامت تزكوني كؤوس الراح والقرب يخفض للجنوح نجاح
وسرت تدل على القبول كأنما دل النسيم على إبتلاج صباح

وقد أشار ابن الخطيب في رسالته إلى رسالة ابن مرزوق⁽¹²⁹⁾ بقوله: ((لكنها بشرتني بما يقل لمؤديه بذل النفوس وإن جلت وأطلعتني من السراء على وجه تجسده الشمس إذا انجلت، بما أعلمتني به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله تعالى في عبده، وصدق المخيلة في كرم مجده، وهذا هو الجود المحصن، والفضل الذي شكره هو الفرض، وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من بيده النوال، من قبل الضراعة والسؤال)). وقد كتب رسالته هذه في ليلة الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة عام 755هـ. وهذا ما يحدد دخول ابن الخطيب مدينة فاس⁽¹³⁰⁾.

وعندما رجع ابن الخطيب إلى غرناطة وقد أنهى مهام سفره، تقلد ثقة ملكيه ((الغني بالله)) فأسبغ عليه لقب ((ذي الوزارتين)). ومن منطلق العلاقات الوطيدة التي تربط الدولتين (غرناطة وفاس). قام السلطان ((الغني بالله)) ببعث رسالة إلى السلطان ((أبي عنان)) في شأن الشفاعة للفقيه ((قاضي الجماعة بفاس)) الشيخ ((محمد بن محمد بن أبي بكر القرشي المقرئ)) الذي وصل إلى الأندلس في أوائل جماد الثانية من عام 757هـ في مهمة خاصة عقدها له سلطان المغرب المذكور، فلما انتهت المهمة توجه إلى غرناطة، ورغب عند وصوله ((مالقة)) أن يستقر بها، وينبذ الخدمة

السابقة لدى ((أبي عنان)) وشاع هذا الخبر في كل مكان حتى وصل أسماع السلطان المذكور فأنكر منه ذلك وتوعده (131). فعاد الشيخ إلى غرناطة مستجيراً مستشفعاً. فصدرت له رسالة قام أصحابه بتسليمها إلى سلطان المغرب -وهما الشيخ قاضي الجماعة (أبي القاسم الحسني السبتي) والآخر هو الشيخ (الخطيب أبي البركات بن الحاج البلغيغي) طالبين له الشفاعة عنده، فتقبل شفاعتها وعفى عنه (132). ولم يكن ثمة شك، في أن مملكة غرناطة، فيما حققته من أسباب القوة والرخاء، تدين بالشيء الكثير إلى سياسة وحنكة وزيرها ابن الخطيب الذي كان له الدور الكبير في تذليل جميع ما يكدر صفاء العلاقات الخارجية للدولة مع الدول الأخرى حتى النصرانية، وكانت سياسة ابن الخطيب قائمة على أسس يلخصها لنا في بعض رسائله و هي ((مدارة عدو قد تكالب على الإسلام و سياسة سواد قد صم عن الملام ، و تعدي حدود النهى و الأحلام (133))) . إذ اتبع ابن الخطيب سياسة المودة نحو مملكة قشتالة ، و مداراتها و اتقاء شرها بكافة الوسائل التي لا تتعارض مع مصالح دولته ، كما كان يلم بما تخطط له و بحنكته يتفادى الصدام بها ، بالإضافة إلى أنه كان يفهم أهداف سياسة البابوية فيما تخطط له في استرجاع الجزيرة الإسبانية إلى سلطة النصرانية و لدينا ما نقله الضوء على ذلك في الرسالة التي بعث بها ابن الخطيب يومئذ على لسان سلطانه ((الغني بالله)) إلى سلطان تكمسان الأمير ((أبي حمد عبد الرحمن بن موسى)) بطلب المساعد العسكرية لمقاتلة وحماية الأندلس من النصرانية و يستجيب لهذا النداء فيرسل إلى الأندلس الأموال والسفن المملوءة بالخيول و السلاح والأقوات ، مما جعل سلطان غرناطة يوجه رسالة شكر وتقدير و عرفان (134) . كما عمل ابن الخطيب على توثيق العلاقة بين مملكة غرناطة و بين مملكة السلاطين المصرية ، والذي دفعة على ذلك لمكانة بمكانة مصر السياسية و الثقافية وأنها مركز الآداب العربية و الإسلامية في الشرق ، وعلى أثر ذلك توثقت أواصر المحبة والأخوة بين بلاطة غرناطة و بلاطة القاهرة و اتصلت بينهما السفارة و المكاتبة و من ذلك رسالة كتبها ابن

الخطيب باسم سلطانه ((الغني بالله)) إلى سلطان مصر الملك ((المنصور بن الملك الناصر)) في أوائل سنة 764هـ يشرح فيها تفاصيل فقدانه لعرشه ، و رسالة أخرى كتبها إلى نائب السلطان بمصر الأمير الكبير ((الخاصكي يلغا العمري)) لذلك كانت رسائل متبادلة بين بلاط غرناطة وبلاط القاهرة (135). كما ظهر أثر ابن الخطيب السياسي في تحسين علاقة مملكة غرناطة مع مملكة أرجوان، وعقد السلطان ((الغني بالله)) بالإصالة عن نفسه و بالنيابة عن صديقه سلطان المغرب ((أبي فارس عبد العزيز)) مع ((بيدرو الرابع)) ملك أرجوان أ معاهدة صلح و صداقة لمدة ثلاثة أعوام من تاريخها في شهر رجب سنة 768هـ (1367م) و تنص المعاهدة على الآتي :-

- 1- يتعهد كل فريق بأن يمنع رعاياه عن الإضرار بالفريق الآخر في البر والبحر.
- 2- يكون لكل فريق حق التجول والمتاجرة بأرض الفريق الآخر.
- 3- تطلق أرجوان حرية الهجرة للمدنيين.
- 4- أن يتمتع كل فريق عن معاونة أعداء الفريق الآخر (136). وهكذا استطاعت الدولة النصرية ((مملكة غرناطة)) في عهد وزارة ابن الخطيب أن توثق علاقاتها الخارجية مع جميع الدول سواء الإسلامية أو النصرانية، بتبادل الرسائل المبنية على الاحترام وتقوية أوامر المحبة والصداقة وتبادل الثقافة والعلم وفتح أبواب التجارة. وإن دل ذلك إنما يدل على سياسة ابن الخطيب الصادقة المدركة بعيدة النظر.

وختاماً،

نسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجه الكريم وأن ينفعنا بها يوم الدين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

&&&

الحواشي:

- (1) المقري، نوح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، بيروت، دار صادر، 1968م. ج 4، ص 377؛ ليفي بروفنسال، تاريخ أسبانيا الإسلامية، بيروت ط 1956م؛ ص 247
- (2) المصدر نفسه؛ ج ص 254؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، ط 1968م، ص 331-332، عبد الحميد العبادي؛ المجلد في تاريخ الأندلس، القاهرة، ط 1964م ص 160-161
- (3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، القاهرة، بولاق ط 1964م، ج 2 ص 488؛ عبد المجيد العبادي، المجلد في تاريخ الأندلس، ص 166.
- (4) عبد الكريم التواني، مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، الدار البيضاء، 1967، ص 342، عبد الحميد العبادي، المجلد في تاريخ الأندلس، ص 166.
- (5) المقري، نوح الطيب ج 4 ص 377
- (6) المصدر نفسه، أحمد العبادي؛ تاريخ المغرب والأندلس، ص 332
- (7) المصدر نفسه، ص 378، ج 1 ص 443
- (8) المصدر نفسه، ص 377
- (9) المصدر نفسه، ص 379، أحمد العبادي، تاريخ العرب والأندلس، ص 348
- (10) المصدر نفسه، ص 380
- (11) المصدر نفسه، ص 381-382؛ شوقي أبو خليل، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، ط 1979م، ص 104؛ علي الجارم، قصة العرب في أسبانيا، مصر، دار المعارف، ص 177، عبد الحميد العبادي، المجلد في تاريخ الأندلس، ص 168

- (12) ليفي بروفنسال، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص 269
- (13) علي الجارم، قصة العرب في أسبانيا، ص 177؛ موسوعة التاريخ الإسلامي، القاهرة ط 1975م، ج 4 ص 75، شوقي أبو خليل عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، ص 105.
- (14) المقري، نفح الطيب، ج 4 ص 382 - 383؛ ليفي بروفنسال، ص 270
- (15) عبد الحميد العبادي، المجلد في تاريخ الأندلس، ص 171؛ علي الجارم، قصة العرب في أسبانيا، ص 178
- (16) الأمير الأندلسي أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس (من كتاب نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان)، تحقيق محمد رضوان الراية، بيروت ط 1976، ص 77.
- (17) المقري، نفح الطيب ج 1 ص 446؛ أحمد العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص 228
- (18) أحمد العبادي، تاريخ المغرب والأندلس ص 228
- (19) لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرية، بيروت، دار الآفاق الحديثة، ط 1978م، ص 42، الأمير الأندلسي، أعلام المغرب والأندلس ص 77
- (20) لسان الدين ابن الخطيب، كناسة الدكان، تحقيق كمال شبانة، القاهرة، دار الكتاب العربي، ص 18، أحمد العبادي، تاريخ المغرب والأندلس ص 227
- (21) الأمير الأندلسي، أعلام المغرب والأندلس، ص 77
- (22) المقري، نفح الطيب، ج 1 ص 477
- (23) لسان الدين، اللوحة البدرية، ص 42
- (24) المصدر نفسه، ص 47
- (25) محمد عبد الله عنان، لسان الدين ابن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، القاهرة مكتبة الخانجي ط 1968م، ص 13

- (26) لسان الدين، كناسة الدكان، ص 18
- (27) لسان الدين، اللحة البدرية، ص 46-47
- (28) لسان الدين، كناسة الدكان، ص 18
- (29) المقري، نفح الطيب، ج 1 ص 448؛ تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، القاهرة، بولاق 1284، ج 4، ص 169
- (30) لسان الدين، كناسة الدكان، ص 18-19
- (31) المصدر نفسه، ص 19
- (32) المصدر نفسه والصفحة
- (33) لسان الدين، اللحة البدرية، ص 47؛ المقري، نفح الطيب ج 1، ص 448
- (34) لسان الدين، كناسة الدكان، ص 19
- (35) المصدر نفسه والصفحة؛ ل. أ. سبريو، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، طر 1969، ص 314
- (36) الأمير الأندلسي، أعلام المغرب والأندلس، ص 77
- (37) لسان الدين، كناسة الدكان، ص 19؛ المقري، نفح الطيب ج 1، ص 448
- (38) أحمد العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص 402
- (39) ل. أ. سبريو، تاريخ العرب العام، ص 315
- (40) محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 13
- (41) لسان الدين، اللحة البدرية، ص 43
- (42) المصدر نفسه، ص 48
- (43) ل. أ. سبريو، ص 315
- (44) محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 18

- (45) المصدر نفسه، ص 18
- (46) المصدر نفسه، ص 18-19
- (47) المصدر نفسه، ص 19
- (48) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مصر / مكتبة النهضة المصرية، 1975 ط 4 ج 4، ص 154
- (49) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، بيروت، 1959م، ج 7، ص 396؛ المقري، نفح الطيب ج 1 ص 449
- (50) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج 7، ص 296-399؛ المقري نفح الطيب ج 1 ص 449
- (51) عبد الكريم التواني، مأساة الوجود العربي في الأندلس، الدار البيضاء، مطبعة الرشاد 1967م، ص 414-413
- (52) المصدر نفسه، ص 415
- (53) المصدر نفسه والصفحة. تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الكتاب اللبناني 1959، ج 7، ص 424
- (54) ابن خلدون، 1959؛ ج 7، ص 425 - 426؛ عبد الكريم التواني، مأساة الوجود العربي ص 415
- (55) ابن خلدون، 1959؛ ج 7، ص 447؛ ل. أ. سبريو، تاريخ العرب العام ص 321
- (56) ابن خلدون، 1959؛ ج 7، ص 449؛ عبد الكريم التواني، مأساة الوجود العربي ص 417
- (57) لسان الدين اللمة البدرية، ص 54
- (58) المصدر نفسه والصفحة
- (59) محمد عنان، نهاية الأندلس، القاهرة، 1966، ص 110-112
- (60) لسان الدين، اللمة البدرية، ص 63
- (61) المصدر نفسه، ص 65
- (62) المصدر نفسه ص 66، محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 22-23
- (63) ابن خلدون، بولاق، 1951م ج 7، ص 240؛ لسان الدين، اللمة البدرية، ص 75؛ محمد عنان،

نهاية الأندلس، ص 115

- (64) محمد عنان، لسان الدين، ص 23
- (65) المصدر نفسه والصفحة؛ لسان الدين اللمة البدرية، ص 82 و 84
- (66) لسان الدين، اللمة البدرية، ص 78، محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 23
- (67) لسان الدين اللمة البدرية، ص 85
- (68) المصدر نفسه، ص 83؛ محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 24
- (69) محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 24
- (70) لسان الدين، اللمة البدرية، ص 86
- (71) المصدر نفسه، ص 88
- (72) المقري، نفح الطيب، بيروت، 1968، ج 1، ص 449-450
- (73) محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 24، نهاية الأندلس، ص 122
- (74) لسان الدين، اللمة البدرية، ص 94؛ محمد عنان، نهاية الأندلس ص 122
- (75) محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 24-25
- (76) المصدر نفسه، ص 25؛ محمد عنان، نهاية الأندلس، ص 124
- (77) لسان الدين، اللمة البدرية، ص 94، ابن خلدون، بولاق، 1951م، ج 7، ص 255؛ محمد عنان،
نهاية الأندلس، ص 124
- (78) محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 25
- (79) ابن خلدون، بولاق، 1951م ج 7، ص 367 - 368
- (80) لسان الدين، كناسة الدكان، مصر، ص 22
- (81) المصدر نفسه، ص 22 - 23

- (82) المصدر نفسه، ص 23
- (83) محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 25
- (84) لسان الدين، كناسة الدكان، ص 25؛ محمد عنان، نهاية الأندلس ص 127
- (85) ابن خلدون، بيروت 1959م، ج7، ص 544 - 546؛ لسان الدين، اللمة البدرية، ص 105 - 106، لسان الدين، كناسة الدكان، ص 25، 33، السلاوي، الاستقصاء، القاهرة، 1894م، ج 3، ص 136-137؛ عبد الكريم التواني، مأساة إنهاء الوجود العربي في الأندلس، الدار البيضاء، 1967م، ص 417؛ المقري، نفح الطيب، بيروت 1968م، ج 5 ص 14 - 15
- (86) لسان الدين، اللمة البدرية، ص 110؛ لسان الدين، كناسة الدكان، ص 34-35
- (87) المقري، نفح الطيب، بيروت، 1968م، ج4، ص 386؛ محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 37
- (88) ابن خلدون، بيروت، 1959، ج 7، ص 449، لسان الدين، كناسة الدكان، ص 35؛ عبد الكريم التواني مأساة انهيار الوجود العربي، ص 418
- (89) لسان الدين، كناسة الدكان، ص 36-37؛ محمد عنان، نهاية الأندلس، ص 129
- (90) محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 38
- (91) لسان الدين، كناسة الدكان، ص 25
- (92) ابن خلدون، بيروت، 1979م، ج7، ص 267-268؛ لسان الدين، اللمة البدرية، ص 108، محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 38
- (93) ابن خلدون، بيروت، 1979، ج7، ص 273 - 276؛ لسان الدين، اللمة البدرية ص 106
- (94) لسان الدين، اللمة البدرية، ص 104، لسان الدين، الإحاطة في إخبار غرناطة، تحقيق محمد عنان، القاهرة، 1955م، ج1، ص 36؛ المقري، نفح الطيب، بيروت 1968، ج5، ص 81
- (95) لسان الدين، كناسة الدكان، ص 25

- (96) المصدر نفسه، ص 165-166؛ محمد عنان، لسان الدين حياته، ص 38
- (97) المصدر نفسه، ص 25؛ المصدر نفسه والصفحة
- (98) لسان الدين، كناسة الدكان، ص 165؛ السلاوي، الاستقصاء، القاهرة 1894، ج3، ص 166
- (99) لسان الدين، اللحة البدرية، ص 106، كناسة الدكان، ص 25
- (100) لسان الدين، اللحة البدرية، ص 108، كناسة الدكان، ص 26، ابن خلدون، بيروت، 1979م، ج7، ص 286 - 287
- (101) ابن خلدون، بولاق، ج 7، ص 332
- (102) محمد عنان، لسان الدين وحياته، ص 42
- (103) المقري، نفح الطيب، بيروت، 1968، ج 4، ص 404
- (104) شكيب ارسلان، الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، بيروت 1358هـ، ج2 ص 229-244
- (105) محمد عنان، نهاية الأندلس، ص 130؛ كناسة الدكان، ص 163
- (106) كناسة الدكان، ص 163
- (107) المصدر نفسه، ص 164
- (108) المصدر نفسه، ص 165، نهاية الأندلس، ص 130
- (109) المصدر نفسه، ص 38
- (110) كناسة الدكان، ص 166، نفح الطيب، بيروت 1968، ج4، ص 415-420
- (111) اللحة البدرية، ص 108، كناسة الدكان ص 37؛ نهاية الأندلس، ص 130-132
- (112) كناسة الدكان، ص 26-27؛ ابن خلدون، بيروت، 1979، ج 7، ص 293
- (113) الاستقصاء، القاهرة، 1894م، ج 3، ص 187
- (114) المقري، نفح الطيب، بيروت، 1968، ج 4 ص 420-424، الاستقصاء، ج3، ص 187 - 191،

- كناسة الدكان، ص 133-148.
- (115) كناسة الدكان، ص 27؛ ابن خلدون، بيروت، 1979م، ج7، ص 294
- (116) ابن خلدون، بيروت، 1979م، ج 7، ص 294
- (117) كناسة الدكان، ص 123 - 125
- (118) المصدر نفسه، ص 88 - 92
- (119) اللمحة البدرية، ص 110؛ الإحاطة، القاهرة، 1955م، ج 1، ص 36؛ نفح الطيب، بيروت 1968م، ج 5، ص 81 نفح
- (120) الإحاطة، ج1، ص 36؛ نفح الطيب، ج4 ص 429
- (121) الإحاطة، ج1، ص 37
- (122) نفح الطيب، ج4، ص 424-429
- (123) المصدر نفسه، ص 429
- (124) ابن خلدون، بيروت، 1979، ج 7، ص 333؛ الإحاطة، ج1، ص 37
- (125) ابن خلدون، بيروت، 1979، ج 7، ص 333؛ الإحاطة، ج1، ص 37
- (126) نفح الطيب، ج 3، ص 341
- (127) المصدر نفسه، ج6، ص 457 - 458
- (128) المصدر نفسه ج 5، ص 403
- (129) ابن مرزوق: محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجبي التلمساني، يكنى أبا عبد الله ويلقب بالألقاب المشرفيه بشمس الدين، عينه السلطان ((أبي الحسن المريني)) مفضي سره، وإمام جمعة وخطيب منبره وأمين رسالته، ثم جاء السلطان ((أبي عنان)) فعينه في بلاطه، فنجح في الشفاعة والوساطة، أنظر: نفح الطيب، ج5، ص 390 - 392

- (130) الاستقصاء، القاهرة، 1312، ج2، ص 94 - 96؛ نفح الطيب، ج6، ص 64 - 67
- (131) كناسة الدكان، ص 153
- (132) المصدر نفسه
- (133) نفح الطيب ن القاهرة، 1302، ج4، ص 485
- (134) محمد عنان، نهاية الأندلس، ص 143، 144
- (135) محمد عنان، لسان الدين وحياته، ص 187
- (136) المصدر نفسه.